TAIGA'S TREASURE

كنز التايغا

بيوتر أورلفيتس

ترجمة: آية حسن

(١)

أسطورة مثيرة للغاية يا عزيزي واطسون! أحب الأساطير بكل أنواعها حقًا؛ لأنه في رأيي هناك فرق كبير بين الأسطورة والحكاية الخرافية. الحكاية الخرافية هي نتاج خيال شعبي، خيال خالص، لكن الأسطورة مسألة أخرى. الأسطورة مختلفة، إذا وجدت جذرها يمكنك دائمًا تتبع منبع إحيائها، فتجد بعض الأحداث الحقيقية أساس لها.

أخذ شيرلوك هولمز نَفَسًا من السيجارة في يده، ونفث دخانًا كثيفًا من فمه، رجع بظهره إلى الوراء واتكأ على الكرسي ثم تابع:

- تستند هذه الأسطورة إلى حقيقة حدثت، وبما أن هذه الحقيقة حدثت منذ وقت ليس ببعيد، قبل عامين فقط، إذن باختصار، لا تبدو هذه الأسطورة بالنسبة لي أسطورة، بل شيئًا أكثر أهمية لأنني موجود بداخلها.

أجبت:

- حسنًا، لقد أعطيتني بالفعل محاضرة كاملة عن الأساطير، ولم تفكر حتى في إخباري بالأسطورة المثيرة التي عملت عليها. بعد كل شيء أن أقوالك تلك بلا هدف حتى الآن.

ضحك شيرلوك هولمز بمرح:

- هذا حقيقي يا عزيزي واطسون. جلست وفكرت داخل ذهني، ثم شرعت أتحدث عن أفكاري بصوت عالٍ. هذا غير واضح إطلاقًا، لذا سأحاول تصحيح خطئي.

مدّ رجليه الطويلتين، ووضعهما واحدة فوق الأخرى وبدأ يتكلم

***

(٢)

بالأمس تجولت حول بلاغوفيشتشينسك. بعد المرور في وسط المدينة وأبديت إعجابي بالمبنى الجميل لمتجر تشورين ، مشيت بهدوء إلى أبعد المناطق النائية التي يتجمع فيها عمال المناجم ومختلف الرعاع في الشتاء.

كل هذه الشوارع قذرة للغاية، مع العديد من الحانات بداخلها، والشرطة -كما سمعت- لا تحب أن تزورها بانتظام أو على الإطلاق.

إذا جاءوا إلى هنا، في معظم الحالات يأتون في فرقكاملة لإجراء جولة متابعة وإنشاء تقرير وبعد كل جولة، يتم اختيار مجموعة عشوائية من الأشخاص أولئك الذين ليس لديهم عمل محدد ويأخذونهم معهم ولا يعرفون تحديدًا أين يضعونهم.

من حين لآخر في مثل هذه الغارات يصادفون كبار ملوك السرقات واللصوص المعروفون.

ولكن بمجرد انتهاء الغارة ، تمتلئ هذه الأحياء مرة أخرى بالرعاع العجزة الذين يظهرون من العدم، مثل البراغيث من الغبار. لذلك تجولت هناك.

بعد التفكير لفترة قصيرة ذهبت إلى إحدى الحانات «التي لا تقدم مشروبات قوية» حيث من العادي أن يحصل زوار تلك الأماكن -كما هو الحال في جميع المدن الروسية- على الفودكا

أكثر من الشاي.

هذا الوضع مفيد -بجانب جميع المنافع الأخرى- بسبب حقيقة أن تلك الأماكن مثالية للرتب الدنيا، وغالبًا ما يكون كذلك أيضًا لأفراد للشرطة الروسية العاديين الذين يحصلون على راتب ضئيل، لذا يفضلون عدم الإبلاغ عن القوانين المنتهكة، من أجل استمرار مواردهم المتواضعة بجانب ذاك الدخل.

صحيح أنه في بعض الأحيان قد تقرأ في الصحف عن اعتقال هذا الشخص أو ذاك بتهمة الاتجار غير المشروع بالفودكا، ولكن مع الأخذ في الاعتبار التجارة المفتوحة تقريبًا للنبيذ في جميع «المقاهي» توصلت إلى استنتاج مفاده أن أولئك الذين قبض عليهم لسبب ما لم يتفقوا مع ممثلي الشرطة في هذه المناطق.

في الحانة التي دخلت إليها علقت على الباب لافته «لا خمور قوية» كان نصف الزبائن يشربون الفودكا، بينما شرب الباقون الشاي أو تناولوا وجبة خفيفة.

لم تكن هناك طاولات فارغة، وكان عليَّ أن أجلس على البار، حيث جلس رجل قوي طويل القامة في حوالي الأربعين. من زيِّه وسلوكه ميزت على الفور مهنته، كنت متأكدًا من كونه مُنقبًا.

هل تتذكر يا واطسون عندما طاردنا الإخوة السبعة اللصوص قبل عامين، كنا نرتدي نفس الأزياء بالضبط.

كان يشرب الشاي، وطلبت الشاي لنفسي أيضًا. وجهرفيقي على الطاولة ذو ملامح مميزة، منفتح، وصادق، ولا إراديًا يدعو للثقة. لا عجب أننا دخلنا في محادثة. وكما توقعت تبين أنه منقب.

كان رجلًا مخضرمًا، ذهب للاستكشاف عدة مرات، استمرت إحدى المرات عامين، وعمل كثيرًا في مناجم مختلفة، لكنه لم يكن يشرب بما ربحه من غنائمه كما يفعل معظم المنقبين، لقد استثمرها سنويًا في مزرعة، ولديه الآن منزله الخاص في بلاغوفيشتشينسك، في أحد الشوارع المتطرفة، ولديه أيضًا زوجان من الخيول وبقرة وهكذا يعتبر رجلًا ذا ثروة.

قال وهو يحتسي الشاي:

- لقد ولدت ونشأت هنا كان والدي أيضًا منقبًا، حسنًا لقد علمني هذا العمل منذ سن مبكرة هذا يعني أنني فطمت التايغا عندما كنت طفلًا، وعندما كبرت، حفظتها جيدًا، حتى أنني على ما يبدو أستطيع السير في أحراش التايغا أفضل من ليسوفيك .

أخبرني الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام. كان عليه أن يختبر الكثير في حياته. كان يعلم بالضبط ماذا يريد أن يستثمر ويشتري.

وبفضل هذا ذهب أكثر من مرة إلى التايغا، وإذا كان ما يزال على قيد الحياة، فذلك فقط لأنه كان يعرف التايغا ولم يعد قط من المناجم عن طريق المسارات الجانبية، ولكنه سار إلى الأمام مباشرة، على طريق يعرفه وحده.

اسمه مكسيم فيرتينيوك.

مثل معظم المنقبين كان مؤمنًا بالخرافات. ومقتنعًا تمامًا بأن قطع الذهب الكبيرة تحرسها الأرواح الشريرة، وبالتالي لا يمكن للبشر الوصول إليها أبدًا. أخبرني:

- لا يمكن للبشر إلا أن يحصلوا على القليل، لا يمكننا الحصول

إلا على الرمال فقط في التايغا، وهي متناثرة فوق الأرض بحيث يمكنك استخراج من بعض الأماكن الغنية أكثر من مائة رطل، لكن لا يمكنك استخراج ثلاث قطع، أو حتى ثلاث قطع ونصف، من المعروف منذ العصور القديمة أن هناك صخورًا كاملة مصنوعة من الذهب في التايغا، لكن من المستحيل على الإنسان الحصول عليها. هذا لأن إما الأرواح الشريرة تحميها بأنفسها، أو الموتى لا يريدون أن يعطونا إياها...

سألته:

- الموتى؟

- نعم.

- كيف ذلك؟

- الأمر بسيط جدًا. يقول كبار السن أنه إذا مات الشرير الذي آذى أحد إخوتنا عمال منجم الذهب فإن روحه لا يمكن أن ترتاح. إنها تبتلى بالجشع وتستمر في التنقيب في التايغا حتى تجد أكوامًا من الذهب. حسنًا إذن وبعد أن تجدها، ستبقى معها وإلى جوارها إلى الأبد حتى نهاية العالم. إنها تخشى أن يجد الآخرون هذا الذهب ويأخذوه بعيدًا. تلك هي روح الشرير التي تعاني، تلك التي تتجول حول هذا المكان في الليل، تشاهد كل شيء وتبكي وتتحسر على ما أهدرته!

صرخت غير مصدق:

- ما هذا الهراء!

أجبني مكسيم:

- لا تقل أكثر من ذلك! لقد رأى الكثير من الناس هذه النفوس الهائمة. نعم لقد رآوها في آماكن ليست بعيدة عن هنا! هل تريد آن تظهر لك روح فاسكا كريفوبالوف؟ لقد رآيت روحه بنفسي، حدث هذا في العام الماضي. آنا آيضًا اعتقدت في البداية آنهم يتحدثون عن قصص خيالية أو خرافات، ولم أستمع إليهم، تغاضيت عما وصلني من قصص، حسنًا كما آنني في آعماقي آؤمن آنك آذا حملت صليبك وإيمانك فإن آقوى روح شريرة لن تتمكن من إخفاء الذهب عنك. لكن الذهب لم يخرج بهذه السهولة.

كنت مهتمًا بهذه القصة. وبناء على طلبي لإخباري كل شيء بالترتيب، حكى لي آحد آحدث الأساطير السيبيرية، التي يشارك فيها جميع آصدقائنا. لقد تفاجآت بالطبع:

- هذا مثير للاهتمام!

قال شيرلوك هولمز بحماس ملحوظ:

- نعم يا عزيزي واطسون! هذا ليس مثيرًا للاهتمام فحسب، بل إنه مثير للاهتمام خصيصًا بالنسبة لنا. نعم سترى بنفسك! ناولني -إلا إذا كنت كسولًا جدًا- زجاجة شيري من هذا الرف هناك، وتلك العوينات آيضًا سيكون من الأفضل صب النبيذ بها.

امتثلت لطلب هولمز. أعطيته العوينات والزجاجة ثم صببنا النبيذ على مهل. بعد ذلك اشعل هولمز سيجاره مرة آخرى وبدآ ينقل بكلماته الخاصة الأسطورة التي سمعها.

* * *

(٣)

بدأ مكسيم فيريتنيوك قصته بهذه الكلمات:

كان ذلك منذ عدة سنوات. لكن الآن عندما تقود عربتك على طول نهر آمور، يمكنك رؤية المحطات البريدية على طول الطريق العام. يوجد سبع من هذه المحطات وما زالت تسمى «الخطايا السبع المميتة».

يمكنك أن تراهم واحدة تلو الأخرى، يفصلهم عن بعضهم البعض مقدار عشر أو خمسة عشر فيرست ،اعتمادًا على صعوبة الطريق. في الأيام الخوالي كان سبعة من الإخوة اللصوص هم القائمون على هذه المحطات. لقد أزهقوا الكثير من الأرواح، وقتلوا عمال مناجم الذهب العائدين من المناجم، ليأخذوا غنائمهم لأنفسهم.

نعم.. ليرحم الله إخواننا الراحلين.

جاء رجل إنجليزي إلى هنا من مكان ما. لقد كان أحد المحققين، وكما يقولون أعاد الحياة إلى نصابها. أوقع ببعض القتلة وقبض عليهم. يبدو الأمر كما لو أنه قطع وعدًا ...

وهكذا كما يقولون حلم هذا الرجل الإنجليزي في أرضه الإنجليزية، أن الله أمره بالذهاب إلى سيبيريا والقبض على الأشرار الطاغين. حتى ذلك الوقت لم يكن بوسع شرطتنا القبض عليهم بأي شكل من الأشكال، وبالتالي فإن الله لم يمنحهم راحة أو السعادة، ولكن بمجرد وصول هذا الرجل، يقولون أنه أوقعهم جميعًا بضربة واحدة.

ثم اختفى وكأنه لم يوجد قط.

الحقيقة أن أرواح الإخوة كانت شريرة وكانت متحدة معًا! لذلك بمجرد أن قتلهم الإنجليزي، في نفس الثانية، أحرقت جميع المحطات بالنار السماوية، بذالك أصبح المكان النجس نظيفًا. طارت أرواح اللصوص إلى أماكنهم القديمة، لكنهم لم يجدوا أكواخهم، فكل ممتلكاتهم وكنوزهم الآسنة أحرقها الله.

كانوا يعوون في التايغا.

من عوائهم نشأت مثل هذه العاصفة التي لم ترها سيبيريا الأم منذ فترة طويلة!

أنا نفسي أتذكرها جيدًا!

لم تقتلع الأشجار فحسب، بل اقتلعت الأكواخ بالكامل هنا وهناك! وأولئك الذين جاءوا لاحقًا من التايغا قالوا إنه في ذلك اليوم كانت الأرواح الشريرة تصرخ في الغابة حتى أنك قد تموت من أصواتهم.

صرخوا لفترة طويلة على الثروة التي سلبت منهم، لكنهم هدأوا فجأة.

وتناثروا في اتجاهات مختلفة للبحث عن الذهب.

بمجرد أن تجد إحدى الأرواح لنفسها صخرة ذهبية، تظل معها، وتستعين بالحيوانات البرية كمساعدين لها وتبقى هناك إلى الأبد، تحرس الذهب ويعذبها الخوف من أن يجده الناس. وهكذا استحوذت الأرواح الشريرة على سبعة صخور ذهبية في أحراش التايغا المظلمة، وكل صخرة منهم يحرسها روح

ووحش.

عندما سمعت هذه الأسطورة، قررت أن آخذ صخرة واحدة على الأقل من الأرواح الشريرة. لقد صمتت الأصوات بعدها لفترة طويلة، وصمتُّ أنا أيضًا لكن قررت أن آخذ معي الإنجيل والماء المقدس وأذهب إلى التايغا.

قيل أن هذه الكنوز كانت مبعثرة شمال محطات الخطايا السبع. ذهبت هناك بالفعل. لفترة طويلة تجولت في التايغا، وأمضيت الليل نائما تحت أشجارها العملاقة، عندها رأيت ما لم أكن أتوقعه.

كان ذلك في الليل.

انطفأت النار التي شويت عليها طائر الحجل. كنت قد استغرقت في النوم بالفعل، جذب انتباهي فجأة صوت طقطقة بعيدة ناجمة عن تكسر الأغصان والجذوع الجافة. لدي أذن حساسة. قفزت بسرعة على قدمي وحدقت في الظلام. وما رأيته جعلني أرسل كل آمالي إلى الجحيم وأفقد بقية شجاعتي.

ليلعن الله هذه الدقيقة.

على بعد ثلاثمائة خطوة مني كان هناك وميض ما. زحفت لأقترب من هذا الضوء وأفزعني أن رأيت هيكلًا عظميًا رهيبًا معلقًا في الهواء، وبعدها أدركت أنه كان معلقًا على غصن شجرة. كان الهيكل يتوهج ويتصاعد منه الدخان في الظلام. وأسفله كان هناك وحش ضخم يندفع نحوه مع قرقرة مملة، كان يقفز في اتجاه الهيكل العظمي ثم ينزلق إلى مكانه، وسمعت أصوات مثل قعقعة السلاسل.

لمع فراء الوحش الرهيب ورأيت البقع على ظهره، وكمامة محترقة على فمه. كدت أفقد الوعي. أخذت الإنجيل، بدأت أقرؤه بصوت عالٍ، وأرش الماء المقدس على المكان الملعون. لكن الرؤية لم تختفِ.

فجأة هز الجو زئير رهيب!

وبعد ذلك هرعت راكضًا من الغضب والخوف. في الصباح جمعت الرجال من أول قرية عثرت عليها وفتشنا التايغا بأكملها، لكن... لم نعثر على الوحش أو الهيكل العظمي. وفي المساء لم يرغب أحد في الذهاب إلى هناك، وأعترف أنني بنفسي لم أرغب في تجربة خوف الأمس مرة أخرى.

منذ ذلك الحين، تخليت عن الكنز النجس.

***

(٤)

قال هولمز بعد أن أنهى رواية قصته:

- كما ترى يا عزيزي واطسون، يا لها من أسطورة مثيرة وغريبة! بالطبع أخبرني بها صديقي مكسيم بارتباك وليس بشكل مرتب! لكن ... أنا بالنيابة عنه بالطبع أردت أن أعرض عليك الأسطورة بشكل أدبي واضح حتى تفهمها كما فهمتها أنا. فأرجو أن أكون ألا أفسدت الحكاية.

صرخت في مكاني:

-أوه لا، لم تفسدها على الإطلاق! إنها أسطورة غريبة،حتى أنها أشبه بالحكايات الخرافية.

- ليس بالضبط! فكر مليًا في محتوي القصة، سوف تجد شيئًا يستحق المزيد من الاهتمام من آسطورة بسيطة!

حركت كتفي في حيرة.

- الشيء الوحيد الذي لاحظته هو آن السيبيريين لديهم خيال غني.

أجاب هولمز بابتسامة:

- اعتقدت أنك أكثر إدراكًا قليلًا. حسنًا استمع إليَّوآمل أن تثير شكوكي بعض الأفكار فيك.

لكن فجأة كما لو تغير شيء في نواياه. قفز هولمز فجأة وقال:

-لا أريد آن آخبرك بأي شيء قبل الأوان. سيكون أكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لك إذا حدث شيء غير متوقع وصدمك. لكن... لدي رأي ثابت حول هذه الأسطورة. كل ما حدث لمكسيم ليس حلمًا، أنا مقتنع به. و... قررت معرفة سر التايغا بأي ثمن.

نظر إليَّ بشكل غامض وأضاف:

- ومن يدري عزيزي واطسون، ربما سنكون قادرين على الحصول على هذا الكنز الذي لم يتمكن مكسيم ولا السيبيريون الآخرون من الحصول عليه.

أجبت ببعض السخرية:

- آتمنى آن تستطيع تحقيق آمالك تلك!

أجاب هولمز:

- شكرًا لك. افكر في هذه الرغبة بجدية وآمل ألا ترفض قبول

جزء من الكنز مني عندما يقع في يدي؟

أجبته:

- بكل سرور!

ومع ذلك سمعت هولمز يتحدث بجدية كبيرة فسألته:

- أخبرني يا هولمز، هل ستقوم حقًا برحلة للتحقق من الأسطورة التي تهمك؟

أجاب هولمز بجدية:

- بالطبع. وآمل أن تكون رفيقي المخلص في هذه الرحلة.

- متى تفكر في التحرك؟

- كلما بكّرنا كان ذلك أفضل. من الممكن أن نتحرك غدًا أنا لست من محبي التأخير.

- معًا؟

- لا، رفيقي الجديد مكسيم سيذهب معنا أيضًا.

- هل أنت متأكد منه؟

قال هولمز بحزم:

- نعم، اعتدت على مراقبة الناس ويمكنني تقريبًا تخمين شخصية الشخص من وجهه، حتى عندما أراه لأول مرة.

توقف قليلًا وأضاف:

- إلى جانب ذلك، لقد قدمت بالفعل الكثير من الأسئلة. لم يكذب، قال إن لديه منزلًا وأسرة، والجيران جميعًا يتحدثون

عنه كشخص صادق ومجتهد، يمكنك الاعتماد على كلمته.

- ولكن هل يريد ذلك؟

- آوه بالنسبة لذلك، سآحاول تبديد خرافاته، ثم سيتبعني في الماء، خاصة عندما يكتشف من أنا.

شككت قائلًا:

- هل هو ذكي بما فيه الكفاية لهذه المهمة؟

أجاب هولمز:

- جدًا!

وبعد آن نهض من كرسيه، ذهب إلى المشجب الذي علق عليها معطفه وقبعته.

- دعنا نذهب إليه يا واطسون. ستكون نزهة رائعة لنا قبل الغداء.

***

(٥)

مكسيم فيرتينيوك، كما ذكرت من قبل يعيش قريبًا من حافة بلاغوفيشتشينسك. عندما وصلنا إليه وجدناه يعمل جنبًا إلى جنب مع زوجته وابنه البالغ من العمر ستة عشر عامًا، قام بتدوير براميل من الكيتا المملحة (نوع من الأسماك المحلية) في القبو.

عندما رآى هولمز آوماً برآسه بلطف وطلب منه الانتظار بينما يدحرج البراميل الثلاثة الأخيرة في القبو.

كما اتضح لاحقًا لم تكن زوجته هي الأخرى تضيع أي وقت. كان لديها متجر في السوق، حيث تبيع العديد من منتجات البقالة الرخيصة والأسماك المملحة، مما زاد من دخل أسرتها وأرباحها. بمجرد أن دحرج فيرتينيوك البرميل الأخير في القبو، مسح يديه على مئزره وجاء إلينا.

قال متحمسًا وهو يصافحه:

- على أي حال من الجيد أنك قد جئت في النهاية!

ولاحظت أنه كما عادة السيبيرين أضاف كلمة «على أي حال»

أكمل ماكسيم قائلًا:

- لماذا نقف هنا؟ هيا نذهب إلى الغرفة العليا! ناستيا ضع السماور على النار!

دخلنا منزلًا دافئًا صغيرًا ولكنه نظيف، يتكون من غرفة نوم وغرفة استقبال ومطبخ. قال مكسيم بمرح لكن بلمسة من الحزن:

- أوه ليس هناك ما يكفي من المال كما العادة!

سأله هولمز:

- لماذا؟

- أصبحت أسماك الكيتا غالية بشكل صادم هذه الفترة! إذا كان لدي المال، لكنت قد اشتريت كل ما في السوق من سمك! حسنًا، لكن لا يمكنك شراء كل ما تريد، يجب أن نشكر الرب أننا اشترينا بعض الأشياء بالفعل.

ابتسم هولمز وصفع ركبته في مرح. ثم قال لمكسيم:

- لدي عمل من أجلك! وإذا خدمتني خدمة واحدةفقط، يمكنني إعطاؤك ثلاثمائة مقدمًا...

بدا مكسيم سعيدًا وسأل هولمز:

- أوه عمل! نعم فعلًا أنني في أشد الحاجة إلى عمل، لكن ما هي تلك الخدمة؟

- دعنا نقول أنها ليست سهلة، ولكن... إذا نجحت، فأنا مستعد لإعطائك خُمس الغنائم، حتى لو حصلنا على ألف روبل أو حتى لو تبين أن الغنيمة كانت خمسة وعشرين روبلًا فقط.

صمت مكسيم لعدة دقائق. تشكلت التجاعيد على جبهته، وبدا أنه يفكر بجدية في شيء ما. وفي النهاية سأل هولمز بنبرة حازمة:

- العمل نظيف؟

أحببت هذا السؤال ونبرته القاطعة. سارع هولمز إلىطمأنته وقال:

- لن أدعوك إلى عمل غير شريف يا عزيزي مكسيم. بل على العكس من ذلك، أنا أدعوك إلى قضية مفيدة.

عادت السعادة إلى وجه مكسيم وقال:

- حسنًا الشكر للرب! وما هذه القضية؟

- البحث عن الكنز الذي لم تجده

هتف مكسيم في دهشة:

- لماذا أنا من كل هذا العالم الواسع!

تساءلت ما قد يجعل مكسيم خائفا لهذه الدرجة!

بدأ هولمز في تهدئته:

- حسنًا، حسنًا، حسنًا. أولًا صديقي هنا سوف يكون شريكًا في رحلتنا. وثانيًا أنا هو ذاك المحقق الإنجليزي الذي قلت عنه أنه دمر السبعة إخوة اللصوص على طريق الخطايا.

حدق مكسيم في هولمز من المفاجأة لعدة دقائق، بقي كما لو كان في حالة من الذهول. ثم مرر يده ببطء من خلال شعره، كما لو كان يبعد كابوسًا، ثم قال بهدوء:

- هل هذه مزحة! وأنا! أوه.. يا إلهي! سيدي هل تقول الحقيقة؟

قال هولمز مبتسمًا:

- هنا جواز سفري الذي يقول أنني شيرلوك هولمز. وإذا سألت الشرطة قبضت على اللصوص، فسوف يوجهونك إليَّ.

- أنا مجرد.. لست قديسًا أو مباركًا على الإطلاق، بل مجرد شخص كرس نفسه لفكرة تحرير المجتمع من عناصره غير الصالحة. هذا هو السبب في أنني لا أتدخل في القضايا غير الجنائية. لنقل على سبيل المثال الشؤون السياسية، أعتبرها مسألة ضد ضميري.

نظر مكسيم فيرتينيوك إلى هولمز بنوع من الرهبة.

أخيرًا أومأ برأسه بهدوء وقال:

- إذا كان الأمر كذلك، فسأذهب معك إلى أي مكان!

اختفى التوتر وأصبح مبتهجًا. لكنه سأل:

- متى نتحرك إلى التايغا؟ في الحقيقة لا مشكلة لدي في الذهاب الآن!

- هذا رائع في هذه الحالة يمكننا أن نبدأ غدًا.

- جيد! ناستيا سيكون عليك التعامل هنا لفترة بدوني.

قال هولمز:

- هاك وديعة لشراء سمك السلمون.

وأخذ محفظته وأخرج منها ثلاثمائة روبل .

تم تسوية المسألة.

تحدثنا لمدة ساعتين عن تفاصيل الرحلة المستقبلية، واتفقنا على ما يجب أن نأخذه معنا، وأين نلتقي، ثم ودعنا بعضنا البعض.

تذكر انك حملت رواية كنز التايغا حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

***

(٦)

قمنا باستغلال باقي اليوم لشراء العناصر اللازمة للرحلة. خراطيش وبندقيتين وطعام ومصابيح كهربائية، لم ننسَ أي

شيء.

بالإضافة إلى الأشياء التي كان من المفترض أن نحملها، كان معنا أيضًا أمتعة ثقيلة، أراد هولمز تركها في مكان ما في التايغا عند اقترابنا من المكان وعندما نصل إلى هناك يمكننا استخدامهم والاستفادة منهم، وهذا على الأقل كي نمنح أنفسنا بعض الراحة في الطريق. وشملت هذه الأمتعة الثقيلة خيمة وسريرين للتخييم وصناديق طعام ومطبخ متنقل وطاولة مخيم قابلة للطي وكرسيين قابلين للطي.

حاول هولمز الحصول على خرائط طبوغرافية لساحل آمور بين بلاغوفيشتشينسك وسريتينسك، لكن لم تكن هناك مثل هذه الخرائط في المدينة بأكملها. غمغم هولمز غاضبًا بينما يتنقل من متجر إلى آخر:

- لا يمكننا الحصول عليهم إلا من روسيا نفسها!

لكن لم يكن هناك شيء يمكننا القيام به. لم تكن هناك خرائط وكان علينا تقبل هذا. قضينا صباح اليوم التالي في بيت مكسيم. من جانبه أعد كل ما هو ضروري. بحلول الظهر نقلت جميع أمتعتنا إلى رصيف السفن البخارية. حصلنا على تذاكر وانتظرنا. وصلت الباخرة بطريقة سيبيرية خالصة، أي بتأخير ثماني ساعات، وكدنا أن نموت من كرب الانتظار.

ولكن بعد ذلك أخيرًا في الساعة الثالثة صباحًا، رستالباخرة التي طال انتظارها. وبما أنه لم يكن من الآمن تمامًا تفريغ وتحميل البضائع ليلًا بسبب السرقة المتطورة بشكل رهيب في هذه الأماكن، فقد أعلن لنا أن الباخرة لن تغادر إلا عند الساعة الثامنة صباحًا. كان عليّ الاستسلام لهذا. وبعد انتظار من الليل

إلى الصباح انتقلنا الكبائن.

في الصباح تحركت السفينة إلى الأمام. وتجدر الإشارة إلى أنه في ذلك الوقت لم تكن هناك بوفيهات في معظم البواخر التي أبحرت في نهر أمور إلى سريتينسك. تعاقدوا مع طاهية لطاقم السفينة البخارية ومنها يمكن للمرء أن يحصل على وجبات مقبولة إلى حد ما.

كان هذا هو الوضع على سفينتنا.

لا يسعني إلا أن أسهب في وصف هذه الرحلة، لأن التنظيم على باخرة كان على النظام السيبيري المميز لذلك الوقت، والذي لم يختلف كثيرًا الآن. ويا له من نظام سيستحق الحديث عنه حقًا. كان جانب نهر أمور من بلاغوفيشتشينسك مليئًا بمناطق المياه الضحلة، بين الحين والآخر نتوقف بسبب سد الطين لطريقنا. يطلق عليها الصدوع، وبالقرب منها توجد باستمرار إشارات توضح عمق الماء عليهم.

أربعة أقدام ونصف هو العمق الذي يمكن اجتيازه لمعظم القوارب البخارية. كان قاربنا البخاري على ارتفاع أربعة أقدام في الماء، وكان أفضل أيام الرحلة هو اليوم الأول. الهارمونيكا أفسدت كل شيء، هذه الآلة الروسية النموذجية التي تصدر صوتًا أجش عاليًا وتجلب للشعب الروسي حالة من الجنون نوعًا ما. حل المساء. في تلك الليلة اضطررنا لعبور مياه أولدوجيتشيفسكي الضحلة الشهيرة، والتي كانت تعتبر واحدة من اضحل مناطق نهر أمور. خرجنا أنا وهولمز على سطح السفينة لاستنشاق الهواء النقي للتايغا، وهو أمر رائع على نهر أمور.

كان المساء هادئًا ومظلمًا.

صعد معظم الركاب أيضًا، ودارت بينهم محادثات مرحة. قبطان السفينة البخارية وهو رجل ذو شعر بني بوجه مميز كان جالسًا مع مساعده بالقرب من كابينة القيادة على طاولة.

وضعت أمامهم زجاجتين من الفودكا ومقبلات ساخنة. بدا الأمر غريبًا بعض الشيء بالنسبة لنا، لكن بما أننا رأينا أن الركاب لم يكونوا قلقين على الإطلاق من هذا الوضع، فقد وضعنا مخاوفنا جانبًا. فجأة سمعت أصوات زجاجات الشمبانيا تتبعها هارمونيكا على سطح السفينة. فاز أحد المنقبين بشرف بدء هذه اللعبة أثناء جلوسه على بعض الحبال، هذا الفعل غير المخطط له سريعًا ما ترك وراءه أثرًا كبيرًا من الأجساد المتشنجة التي بدأت بضرب أقدامها في الأرض.

صوت الهارمونيكا وأثره على جسد الإنسان ظهر على الفور على بعض الركاب الذين بدأت أرجلهم -بشكل لا إرادي- في استخدام سطح السفينة كطبلة ضخمة.

شرب القبطان كوبًا كاملًا من الفودكا في جرعة واحدة واختنق تقريبًا من جراء تسرعه، لقد ابتلع الفودكا على عجل ورمى بها في فمه مثل اللحم.

أصبحت موسيقا الهارمونيكا محمومة. بدأ شخص من الجمهور في الرقص والقرفصة، وسط تصفيق الآخرين. وبعد بضع دقائق كان سطح السفينة الباخرة فوضويًا يذكرنا بلحظات من حياة الهنود الحمر. ظهر عدد لا يصدق من زجاجات الخمر. كل أولئك الذين لديهم أرجل قادرة على حمل جذعهم الضخم بدأوا رقصة

حيوية.

غادر القائد ومساعده مقاعدهم في غرفة القيادة وانتقلوا إلى جوارنا مع الفودكا. كان كل شيءٍ غريبًا لبعض اللحظات، لقد رقصوا وقفزوا وغرقنا في الأصوات المتعددة والآتية من كل مكان.

أتوا بالمزيد من الزجاجات إلى القبطان، وأفرغها مع مساعده بشجاعة مذهلة وخفة. صرخ لاعب الهارمونيكا اللعينة كما لو كان يريد أن يراه كل من بالباخرة. فجأة لم يستطع قائدنا تحمل ذلك. وقف وتمايل ونبح كما لو كان سيقع وبدأ في القرفصة، كل هذا بجانب الهدير المتحمس من الركاب المتفرجين. ولكن في النهاية هدأ لاعب الهارمونيكا.

بدأ الجمهور المخمور يتشاجر مع بعضه، ودخل القبطان في هذه المعركة مع مساعده لدرجة أن الأمر كان على وشك أن يتحول إلى قتال متلاحم.

فجأة رن صوت عال من مقدمة السفينة:

- أمامنا صدع!

توقف القتال. صاح القبطان:

- كم يبلغ عمقه؟

تردد الصوت مرة أخرى مجيبًا:

- أربعة أقدام.

فكر القبطان في شيء ما لبضع ثوان. وفجأة تسمر وهو يلوح بيده بشكل محموم وصف خط متعرج عبر سطح السفينة

وصرخ بشجاعة:

- عاصفة!

أغرت هذه الشجاعة الجمهور كله. تقرر اتخاذ القرار عن طريق العاصفة. بالكاد وصل القبطان المخمور إلى صندوق القيادة. كانت السفينة تسير على قدم وساق.

صاح شخص ما من بعيد «تقدموا» متخيلًا على الأرجح أنهم يقتحمون حصنًا للعدو. فجأة سمع صوت هسيس مشؤوم من الحصى في القاع تحت الباخرة. اهتزت كل أجزاء القارب البخاري وتوقف.

جاء الصوت مرة أخرى:

- لقد علقنا!

قال القبطان بصوت عال وهو يبصق:

- ليست بالمشكلة الكبيرة.

كلفت هذه البصقة الركاب سبعة أيام بالضبط، والتي هي الأيام التي علقت فيها السفينة. في الصباح أعلنت الطاهية للركاب أنها لا تأمل إطلاقًا أن يعلقوا لأكثر من يوم واحد، وبالتالي، إذا استمر هذا الوضع لأكثر من يوم، فإنها ستتوقف عن عملها.

* * *

(٧)

لكننا لم نسعد بفكرة الانتظار على الإطلاق. بعد التشاور مع

فيرتينيوك قرر هولمز ترك الباخرة. لهذا السبب ذهب فيرتينيوك إلى المحطة الأولى وعاد بعد ثلاث ساعات بقارب بريد واثنين من المجاذيف.

بعد نقل أمتعتنا إلى القارب، تمنينا أن يخرج الباقون من الصدع في أقرب وقت ممكن ويكملوا رحلتهم، التي -أحيانًا- يمكن تقصيرها عبر القنوات. في كل محطة قمنا بتغيير القارب والمجذافين، وبفضل ذلك انتقلنا في رحلتنا بدون توقف وبسرعة كبيرة. استمرت هذه الرحلة يومين.

أقرب «خطيئة» كانت على بعد حوالي خمسين فيرست. حينها غادرنا الطريق المائي، واشترينا حصانًا وسرجًا من المحطة، وبعد تحميل المعدات الثقيلة على ظهر الحيوان، انطلقنا في رحلتنا الأخرى.

في المساء توقفنا في مكان ما على طريق مخفي تحت غطاء التايغا القاتم، نصبنا خيمة لأنفسنا، وطهينا عشاءً لذيذًا ونمنا متعبين تحت الأشجار الكثيفة. ولكن على الرغم من الصمت المميت للتايغا والغياب الكامل للحياة فيها، أبقينا أنفسنا على أهبة الاستعداد وعندما تحركت قافلتنا الصغيرة، سار فيرتينيوك -كالعادة- في المقدمة.

مر يومان آخران. قال فيرتينيوك في أثناء سيرنا بينما انعكس تعبير قلق على وجهه:

- نحن نقترب الآن!

سأل هولمز مبتسمًا:

- يبدو أنك بدأت تشعر بالخوف؟

كان فيرتينيوك مرتبكًا وظل صامتًا. ومع ذلك كلما اقتربت الليل أصبحت نظرة فيرتينيوك أكثر قلقًا. في نهاية الأمر توقف وقال:

- لا يمكننا التقدم أكثر مع الحصان، من السهل سماع صوت صهيله من مسافة بعيدة.

وافقه هولمز:

- نعم هذا صحيح!

اخترنا مكانًا بجانب النهر، أخذنا الحمولة من الحصان، وربطناه بحبل طويل إلى شجرة. ثم بدأ ثلاثتنا نجمع الطعام للحصان. بعد ساعتين كانت هناك كومة ضخمة بالقرب من حصاننا، والتي كانت تكفي الحصان لمدة ثلاثة أيام تقريبًا. استطعنا تزويد حصاننا بالطعام والماء في تلك البقعة. كنا نأمل فقط ألا تلتهمه الحيوانات البرية.

بعد أن تركنا أمتعتنا الثقيلة هناك، انطلقنا بحقائب على أكتافنا وبنادقنا في أيدينا، حاولنا المشي أكبر قدر ممكن من المسافة قبل حلول الظلام الدامس. كانت أشجار التايغا متشابكة. من خلال أوراق الشجر الكثيفة لا يمكن رؤية السماء ولا النجوم وهذا جعلها تبدو وكأنها قبر ضخم صلب.

كتل الأغصان والجذوع المتيبسة والمتراكمة كثيرًا ما سدت أمامنا الطريق، وكلما توغلنا أكثر داخل الغابة نقابلها أكثر حتى أصبحنا نراها كل دقيقة. قال فيرتينيوك:

- عشرة فيرستات أخرى ونكون قد وصلنا.

انطلقنا مرة أخرى. بعد ساعتين من المشي المستمر توقفنا. كان منتصف الليل.

وفقًا لفيرتينيوك البقعة الملعونة كانت في مكان قريب، لكنه لم يتمكن من تحديد اتجاهها وموقعها بدقة. لذا لم نجد أفضل من التوقف والانتظار. عسكرنا تلك الليلة وكان هولمز يأمل في إجراء استطلاع أثناء الليل، وإذا كنا غير محظوظين ولم نقابل أي ظاهرة غريبة، فيمكننا في الليلة التالية الانتقال إلى مكان آخر.

بعد أن قدم لنا بعض النصائح وطلب منا بشكل خاص عدم إحداث أي ضجيج، اختفى هولمز. بعد ساعة عاد دون أي أخبار معه.

ووفقًا له فقد مشى حوالي عشرة فيرستات على الأقل، لكن الصمت ساد الغابة ولم يكن هناك شيء غريب يمكن رؤيته. بعدها ذهب فيرتينيوك للتحقق. لكن لم يكن علينا الانتظار طويلًا هذه المرة.

بمجرد أن وصل إلينا سقط على الأرض وهمست شفاهه البيضاء من الخوف: «هناك.»

وأشار إلى الشمال. قال هولمز وهو يضع قارورة من البراندي على فمه:

- هيا اشرب يا صديقي العزيز.

الشراب القوي على ما يبدو رمم روحه المتفككة، وعندما رآنا أنا

وهولمز مبتسمين، استجمع نفسه ووقف وكان أكثر جرأة وأراد قيادة هولمز إلى المكان الذي شاهده. ومع ذلك لم يأخذه هولمز معه. وقال أنه يفضل أن يبقي فيرتينيوك ليستجمع قواه قليلًا، وأعرب عن أمله في أن أعتني به ريثما يعود. وبالتالي تركه في رعايتي ثم اختفى هولمز.

حين رحل تمكنت حقًا من التأثير على فيرتينيوك وإقناعه بأنه لا يوجد شيء خارق للطبيعة في العالم وبحلول الوقت الذي وصل فيه هولمز هدأ أخيرًا.

- الآن اتبعاني.

قال هولمز بينما نخرج من غابة مظلمة:

-لحسن حظنا تهب الرياح عكس جهتنا يمكننا الاقتراب بحرية من العدو دون شعوره بمسيرنا.

خطونا بعناية وانطلقنا. كنا قد مشينا بضع مئات من الخطوات فقط عندما توقف هولمز وأشار بيده إلى الأمام ثم همس لي:

- انظر إلى الشجرة..

نظرت في الاتجاه المشار إليه وشعرت بقشعريرة طفيفة تمر عبر جسدي. في الواقع ما رأيته كان مشهدًا غريبًا. تحت فروع الأشجار العالية عُلق هيكل عظمي بشري بشع، يتمايل بلطف في الهواء عند أقل تيار من الرياح. الشيء الغريب هو أنه لم يكن مرئيًا على ماذا عُلق أو إذا كان معلقًا من الأساس، لكنه كان متوهجًا ببعض الضوء الأزرق الغريب وانبعث منه دخان خفيف. همس هولمز مرة أخرى:

- انظر الآن تحت قدميه.

نظرت حيث أشار ورأيت على الأرض تقريبًا تحت أقدام الهيكل العظمي شيئًا غريبًا يتحرك ومن الواضح أنه حي. هذا المخلوق اندفع بطريقة شرسة في كل الاتجاهات وكان لديه بقع متوهجة، وبفضل تلك البقع برز في ظلام الليل بوضوح. لم يكن لدينا الوقت الكافي للنظر إلى هذا المشهد الفريد، عندما غيرت الرياح اتجاهها فجأة.

وبعد ثانية بدا أن المخلوق المتوهج ينام على الأرض، واجتاح هديره المهدد التايغا. كان جسد فيرتينيوك يهتز بالكامل. لكننا انتظرنا دون أن نتحرك لنعرف ما سيحدث بعد ذلك. لكن لم يمض وقت طويل على انتظارنا.

أمام أعيننا نزل الهيكل العظمي البشع بسلاسة إلى الأرض، وقفز عدة مرات ثم اختفى مع الوحش الذي يحميه.

***

(٨)

قال هولمز:

- حسنًا الآن يمكننا العودة بأمان، لا يوجد ما نفعله هنا في الليل، وأنا أعتبر أنه من الحكمة العودة إلى معسكرنا السابق.

بهذه الكلمات انطلقنا في طريق عودتنا. بمجرد وصولنا إلى المكان القديم، نصحنا هولمز بأخذ قسط جيد من الراحة دون إضاعة الوقت، استلقينا على العشب ونمنا بسرعة.

بمجرد أن أشرقت الشمس، كنا بالفعل على أقدامنا. بعد المشي

خمس فيرستات مرة أخرى، قمنا بطهي الطعام الخاصة بنا بحيث لا يمكن مشاهدة الدخان المنبعث من النار من بعيد، ثم عدنا مرة أخرى إلى نفس المكان.

تركني مع فيرتينيوك واختفى هولمز في التايغا، ثم عاد منها بعد بضع ساعات فقط. إذا حكمنا من خلال وجهه، استطعت أن أرى أنه كان سعيدًا لسبب ما، ولكن بما أنه لم يتحدث أولًا، لم أعتبر أنه من الضروري إزعاجه بأسئلتي. في حوالي الساعة السادسة مساء، أخبرنا أن الوقت قد حان للمضي قدمًا.

لمن نتحرك إلى الأمام، ولكن سرنا إلى اليمين، وبعد ساعة لاحظت أننا كنا نتجول في الجانب الشرقي من المكان الذي رأينا فيه المشهد الصادم أمس. استمر هذا حتى بداية الظلام العميق. بمجرد أن تكثف الظلام لدرجة أنه لم يعد من الممكن المضي قدمًا، توقف هولمز وانتظرنا كالليلة الماضية.

في الوقت نفسه قمت بالاستكشاف من حولنا وتبين أننا كنا نقف اليوم على طريق نادر للغاية في التايغا. مرت ثلاث ساعات. وفجأة -تمامًا مثل الأمس- ضغط هولمز على مرفقي وأشار إلى مكان ما.

على بعد مائتي خطوة أمامنا، على الطريق نفسه أيضًا، ارتفع هيكل عظمي متوهج ببطء من الأرض وتعلق في الهواء. لكن هذه المرة الوحش الرهيب الذي يحرس الهيكل العظمي لم يشمنا. في تلك الليلة هبت الرياح في اتجاهنا دون انقطاع، لكن هولمز لم يفكر في الاقتراب من الظاهرة الغامضة.

استمرت هذه الظاهرة حتى الفجر تقريبًا، وبمجرد أن بدأ النور يتخلل التايغا بالكاد بشكل ملحوظ، تراجعنا إلى الشرق لمدة

خمسة فيرستات على الأقل. هنا مرة أخرى استرحنا وطهينا الطعام وكما في اليوم السابق مع بداية الظلام تقدمنا، وهذه المرة وقفنا في زاوية مختلفة.

من خلال حركتنا التي استمرت يومين، فهمت تمامًا نية هولمز، كان من الواضح أنه يريد دراسة هذه الظاهرة من جميع الجهات. فيرتينيوك خلال هاتين الليلتين تعود تمامًا على ما يراه ولم يعد يشعر بنفس الخوف. لن أتطرق إلى تفاصيل الليلتين الأخيرتين، سأقول فقط أنه بغض النظر عن الجانب الذي اقتربنا منه من المكان الغريب في الليل، كان علينا أن نتعثر في نفس الظاهرة في كل مكان.

يبدو أن هيكلًا عظميًا غريبًا ومخلوقًا حيًا أغرب منه يحميان مساحة دائرية كبيرة إلى حد ما من جميع الجهات.

بعد أن تجولنا في هذه الدائرة من جميع الجهات، في اليوم الخامس وبناء على نصيحة هولمز عدنا إلى حصاننا الذي بالمناسبة تمكن بالفعل من تناول كامل مخزون العلف الذي تركناه. لقد أمضينا يومًا بالقرب منه واستمتعنا براحة لطيف وأخذنا كمية كبيرة جديدة من المؤن ووضعناها في حقائبنا، وبعد أن أعددنا الطعام للحصان مرة أخرى بكمية مضاعفة واغتسلنا جيدًا في ماء التايغا انطلقنا مرة أخرى.

***

(٩)

قال هولمز وهو يسير عبر الأشجار:

- الآن يا عزيزي واطسون نحن ذاهبون لاكتشاف السر

الحقيقي. نحن نعرف الموقع التقريبي لعدونا ونعرف حدوده ويمكننا التأكد من تلك المنطقة.

قلت:

- سيكون من المثير للاهتمام بالنسبة لي أن أعرف استنتاجاتك بالتفصيل يا هولمز خصوصًا الآن بعد أن اقتربنا من الهدف ذاته، ربما يمكنك شرح الأمر برمته لنا بالترتيب.

أجاب:

- بكل سرور.

أخرج سيجاره من علبة السجائر وأشعلها ثم تكلم:

- بالطبع تتذكر يا عزيزي واطسون كل ما سمعناه على متن السفينة، وربما تتذكر جيدًا مغامراتنا قبل عامين.

- أوه نعم!

- وبالطبع تذكر الإخوة اللصوص السبعة.

- بالتأكيد.

- لم ينج أحد منهم. قُتل أربعة في تبادل لإطلاق النار، بينما أعدم الثلاثة الآخرون. كان الشخص الوحيد الذي هرب من أيدينا في ذلك الوقت هو الذبابة، الذي -مرة أخرى- يثبت أنه يستحق هذا اللقب.

سألت هولمز:

- أنت لا تفترض أنه هنا، أليس كذلك؟

أجاب هولمز:

- لا أفترض فحسب، بل أنا متأكد من ذلك أيضًا.

- ولكن كيف؟

- بسيط جدًا. حالما بدأ إطلاق النار وأصبته اختبأ على الفور. هذا المجرم المخضرم الذي هرب من الأشغال الشاقة والعديد من السجون سبع عشرة مرة، أدرك جيدًا أننا سنخرج منتصرين من القتال الذي بدأناه. بالإضافة إلى ذلك رأى كيف سقط رفاقه واحدًا تلو الآخر، لكنه لم يرتبك مثلهم. على الرغم من جروحه سارع بالفرار. لكن أولًا وقبل كل شيء، ذهب إلى أقرب محطة من تلك «الخطايا السبع» التي كان الإخوة اللصوص حراسها. بينما كنا مشغولين بجوائز انتصارنا، انتقل بدوره من محطة إلى أخرى، بالطبع نهبها جميعًا، ولكي لا يترك أي أثر وراءه أحرقها. لا شك أن هذا السارق الشهير يعرف التايغا مثل ظهر يده، ويعرف مناطق منعزلة ليختبئ فيها، وتمكن من نقل الثروة التي حصل عليها بهذه الطريقة إلى أحد هذه الأماكن.

فجأة صرخ فيريتنيوك الذي كان يستمع إلى قصة هولمز باهتمام شديد طوال الوقت:

- وفي النهاية الحقيقة هي الحقيقة. ونحن -يا لنا من حمقى- جرنا الله والشيطان إليه.

ضحك هولمز بمرح:

- نعم يا أصدقائي الأعزاء. الأمر أبسط بكثير مما بدا لك في المرة الأولى. والآن آمل ألا يفلت الوغد الأخير من هذه العصابة

من يدي بسهولة.

قلت:

- لكن هذا غريب، لماذا يحتاج الذبابة للبقاء هنا، في نفس المكان حيث كدنا نفتك به واقترب تقريبًا من الموت.

أجاب هولمز:

- إنها الغريزة لدى لص محترف مثله. سيبيريا كبير وواسع، ومن غير المرجح أن يعود العديد من رجال الشرطة إلى نفس المكان عدة مرات للبحث عن نفس المجرم. بالإضافة إلى ذلك ما يحدث دائمًا هو أن المجرم لا يبقى طويلًا في مكان واحد ويحاول الابتعاد عن المكان الذي كشف فيه. وهكذا بعد أن قطع دائرة طويلة وصعبة وعاد إلى المكان القديم، حيث كما يعلم الجميع لم تكن هناك قرى أو مستوطنات قريبة، وكانت أقرب الأماكن هي محطات البريد التي دمرها السارق بنفسه ليضمن المزيد من السلامة.

- ولكن بعد كل شيء، الطريق المؤدي إلى منجم كريستوفي من خلال هذا المكان؟

- وماذا في ذلك؟

- كان يمكن أن يلاحظه عمال المناجم.

- لهذا السبب قام بهذه المسرحية المرعبة كي يبعد الفضوليين، وهذا هو ما رأيناه لعدة ليال. بالطبع لم يكن لينجح في تخويف شخص مثقف بوسائله البسيطة، لكن عمله هذا استهدف الكتلة غير المثقفة، وقد رأيتم هذا بأنفسكم. على سبيل المثال فكرة

الهيكل المعلق واضحة للغاية.

توقف هولمز للحظة واحدة وأخذ عدة أنفاث من السيجار ثم واصل:

- ربما هذه الهياكل العظمية تنتمي إلى رفاقه السابقين أو أولئك الذين سقطوا ضحية لهم. ليس من الصعب تجميع هيكل عظمي، أو جعله يتوهج. كل ما يتطلبه الأمر هو استخراج الفوسفور وإجراء عدة عمليات حتى يتوهج في الليل مع تأثير الدخان الأزرق الذي رأيناه في هذه الليالي.

هتف فيرتينيوك:

- هذا صحيح.

ضحك هولمز:

- هذا هو الأمر كله.

سأل فيرتينيوك الذي كان على ما يبدو مهتمًا بهذه القصة:

- حسنًا ومن يعبث أسفل الهيكل العظمي؟

- أوه بالنسبة لهذا المخلوق، اكتشفت هويته في اليوم الأول بعد أن رأيت هذه الظاهرة.

- وماذا كان؟

- تتذكرون في الصباح التالي عندما تركتكم لبضع ساعات. لقد فعلت ذلك عن قصد بمجرد أن رأيت أن الظاهرة قد اختفت. عدت أدراجي واستنتجت من هدير الوحش أنه يتحرك بسرعة بعيدًا عني، وبالتالي استمررت بجرأة في المضي قدمًا. في

البداية تبعت آثار الأقدام على الأرض وبواقي الفسفور المشعة.

قطع هولمز حديثه ليضحك ثم أكمل:

- لقد وجدت آثاره على الأرض، لم تكن سوى فضلات حديثة لدب عادي. وبالطبع عانى الدب المسكين من مصير الهيكل العظمي ولطخ أيضًا بالفوسفور، مما أعطاه هذا المظهر الغريب الخارق للطبيعة.

هتف فيرتينيوك:

- هل هو حقًا دبٌ؟

أجاب هولمز:

- دب طبيعي. الذبابة يعرف التايغا جيدًا ويمكنه بسهولة اصطياد الأشبال الصغيرة ويأخذهم في سلال إلى مخابئه المختلفة في الغابة ليربيهم. من الممكن أيضًا أن يكون هناك اثنان من الأشبال، ويتنقل بهم من مكان إلى آخر، ويسحب هياكله العظمية من أجل تخويف الأرواح الشجاعة التي تأخذهم أقدامهم قريبًا من المكان الذي اختاره لنفسه كمقر لإقامته.

قلت:

- في الواقع تبين أن القصة بسيطة للغاية.

- تقريبًا كنت أعرفها كلها مقدمًا، حتى عندما أخبرني فيرتينيوك بأسطورته لأول مرة. في الواقع من المستحيل أن أؤمن بوجود قوة شريرة تمنع الأشخاص من الوصول إلى منجم كريستوفي. قام الذبابة بعمله بشكل مثالي. من خلال جهوده

لعام كامل، كما أن الشائعات غرست الثقة في الجميع بأن هذا المكان نجس وغير مؤهل لوجود البشر. بالإضافة إلى ذلك رأى الكثير من الناس العاديين هذه الظواهر الخارقة، ومن بينهم بالطبع هناك أشخاص جديرون بالثقة تمامًا، أولئك الذين لا يمكن تكذيبهم، وبما أنهم قالوا أنهم رأوا الظاهرة بأعينهم، فإن البقية سيصدقونها ضمنيًا، وإذا لم أهاجم هذه الأسطورة، كان من الممكن أن يستخدمها الذبابة لفترة طويلة ويحظى بكامل حرية في التنقل في المنطقة والإفلات التام من العقاب.

لكنني قاطعته:

- من المؤكد أنه لا يستطيع البقاء هناك إلى الأبد؟

- بالطبع ليس لدي أي شك في ذلك. من وقت لآخر يغادر وكره ربما حتى يذهب إلى المدن، حيث يشتري كل ما يحتاجه لنفسه ويبيع القليل من الذهب المسروق، ولكن من الممكن أيضًا أن يكون هناك شخص آخر معه، ولهذا السبب يجب أن نكون على أهبة الاستعداد ونتصرف بحذر شديد.

سألت:

- وما هو تحليلك يا عزيزي هولمز للدائرة التي يحميها؟ المنطقة الكبيرة التي يحرسها يوميًا؟

لم يرد هولمز على الفور. أخرج دفتر ملاحظاته وحسب شيئًا بقلم رصاص لفترة طويلة ثم أجاب أخيرًا:

- في رأيي هذه المنطقة لا تقل عن خمسة فيرستات تشكل مربعًا. لهذا السبب سوف نضطر للبحث عن الشيء الذي يحرسه

في جميع أنحاء هذه المنطقة الضخمة؟

- لا توجد طريقة أخرى؟

- حسنًا أعتقد أن الأمر سيستغرق منا الكثير من الوقت في التايغا. لا يوجد أمامنا سوى المخاطرة.

أجاب هولمز بابتسامة:

- هذا ليس صحيحًا تمامًا يا عزيزي واطسون، نحن لسنا بحاجة لدراسة كل شبر من الأرض على الإطلاق. يكفي التجول في هذا المكان، أو ملاحظة آثار الدب أو آثار الخطوات البشرية في تلك المنطقة، ولن يكون من الصعب علينا الوصول إلى عرين السارق.

أكملنا حديثنا بهذه الطريقة بينما نسير عبر التايغا التي لا نهاية لها.

تذكر انك حملت رواية كنز التايغا حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

(١٠)

مر الوقت بشكل غير محسوس.

توقفنا مرتين لإشباع شهيتنا، لكن فترات الراحة كانت قصيرة جدًا. وفقًا لحسابات هولمز عندما لم يتبق أكثر من فرستين أو ثلاثة فيرستات كي نصل للمربع المسحور، توقفنا لمدة أطول

قليلًا. هناك قضينا الليل.

وفي اليوم التالي بمجرد أن أشرقت الشمس واصلنا. بعد المشي حوالي ثلاثة فيرست، استدار هولمز إلى اليمين، وبدأنا في تكوين دائرة واسعة. لمدة ساعتين وربما أكثر بقليل مشينا دون أن نلاحظ أي شيء. ولكن بعد ذلك توقف هولمز أخيرًا مشيرًا إلى قدميه وقال:

- انظروا هنا أيها السادة.

على الأرض تحت أقدامنا كانت هناك كومة من فضلات الدببة، تلك الفضلات كونت دربًا في عمق غابة التايغا وعلقت في الغصون والأحجار.

في بعض الأماكن كانت هناك أشجار مكسورة.

همس هولمز:

- الآن أيها السادة أطلب منكم توخي الحذر الشديد.

لكن تحذيره كان غير ضروري على الإطلاق. كنا نحن أنفسنا ندرك خطورة الموقف وتحركنا بحذر شديد لدرجة أنَّ الخشب الميت الجاف لم يسبب أي صوت تحت أقدامنا.

قادنا هولمز للأمام بشكل مستقيم تقريبًا. توقف هولمز الذي كان يسير في الأمام، متمسكًا بهذا الطريق لمدة فرستين كاملين.

همس:

- هذا واحد آخر..

وأشار إلى ممر متصل بالأول وله مدخل جانبي. من تقاطع المسارات اخترنا الطريق الأكثر فوضوية والذي يبدو أنه مستخدم أكثر. في الطريق عبرنا جدولًا. على ضفة هذا التيار لاحظنا أن العشب على الأرض كان أكثر تهشمًا، كما لو كان شخص ما يتدحرج عليه.

قال هولمز:

- وهنا يستريح صديقنا الذبابة مع حيواناته الأليفة. يجب أن يكون قريبًا الآن. ومع ذلك سأكون مهتمًا جدًا بمعرفة ما إذا كان موجودًا هنا بمفرده أو إذا كان هناك شخص آخر يعيش معه.

أجبته:

- حسنًا، أنا حقًا لا أعرف بشأن الشخص الأخر. ولكن هل قررت حقًا الهجوم، وأنت لا تعرف حتى قوة العدو؟

- لا يمكنني حتى الآن تقديم إجابة إيجابية على هذا السؤال يا عزيزي واطسون، لكن على أي حال أعتقد أنه سيكون أكثر وضوحًا عندما نقترب من الهدف.

صمتنا. واصلنا السير لنحو نصف فيرست. فجأة توقف هولمز ووضع إصبعه على شفتيه. في المقابل توقفنا عن التقدم في مساراتنا، واستمعنا إلى الأصوات القادمة من التايغا. أصوات الحيوانات اللطيفة والبعيدة غير المناسبة تمامًا لهذه المنطقة القاتمة، كانت بالكاد مسموعة لنا. سمعنا صوتًا أنثويًا. جنية غير مرئية تغني في مكان ما، وفي صوتها كان هناك تنهدات مكبوتة وشوق ميؤوس منه. قال هولمز بتمعن:

- هذا يوضح العديد من الأشياء. حسنًا إذا كانت هناك بالفعل

امرأة هنا، فمن غير المرجح أننا سنضطر إلى الالتقاء بأي من رفاقه. من المثير للاهتمام فقط معرفة من أين أتت. لكننا سنعرف هذا قريبًا.

أخرج مسدسًا من جيبه وأمسكه في يده وأسرع يوجه خطواته مشيًا مباشرة نحو الصوت. سرعان ما سمعنا قرقرة الدببة. ربما احتفظ بها الذبابة هنا خلال النهار، وفي الليل يأخذهم إلى ذاك المكان. في هذه الأثناء بدا أن التايغا آخذة في التقلص. ظهرت جذوع الأشجار المقطوعة حديثًا وخوفًا من ملاحظتنا، اضطررنا إلى النزول على الأرض والقيام برحلتنا الإضافية زحفًا.

لكن بعد ذلك أخيرًا رأينا عرين السارق. كان يتألف من كوخ واسع إلى حد ما محفور على مستوى منخفض جدًا في الأرض ومُحاط بسور. ومع ذلك كان السور منخفضًا جدًا لدرجة أنه يمكننا أن نرى بحرية خلال اختبائنا في الأدغال كل ما يحدث في فناء هذا الكوخ. بالمناسبة لاحظت أنه على جانب الكوخ المواجه لنا كان هناك نافذتان، إحداهما مغلقة بشبكة حديدية قوية. من هذه النافذة سمعنا صوتًا أنثويًا يبكي.

***

(١١)

انتظرنا مختبئين في الأدغال.

تشاور هولمز مع فيريتنيوك -كما هو الحال مع شخص ذي خبرة في الجرائم وذي خبرة بالمكان- حول كيفية مهاجمة السارق، وما إذا كان من الممكن أسره حيًا.

عرف فيريتنيوك الذبابة أكثر من هولمز.

قال بثقة وهو يهز رأسه:

- لن نستطيع، أنه ليس من النوع الذي يسلم نفسه حيًا. سيكون من الأفضل أن ننتظر عندما يخرج. ونصيبه برصاصة في رأسه وهذا كل شيء. وإلا فإنه سوف يهرب مرة أخرى حتى لو وضعته في سلسلة.

غرق هولمز في التفكير. بالطبع أراد القبض على السارق حيًا، لكن يبدو أن كلمات فيريتنيوك كان لها تأثير عليه. قال بتمعن:

- على أي حال مهما حدث فعلينا انتظار ظهوره والاستعداد.

بمجرد أن ألقى هولمز هذه الكلمات، سُمع صوت هدير غاضب خلف السياج وبدأ أحد أشبال الدببة الضخمة وهو يقف على رجليه الخلفيتين في النظر عبر السياج مباشرة في اتجاهنا مستنشقًا الهواء بقلق. بعد هذه الحركة ظهر الآخر. استنشق كلا الدببين الهواء بقلق، وكانا يديران أنوفهما في اتجاهنا طوال الوقت. همس هولمز:

- اللعنة لقد كشفنا! أنا على استعداد لإعطاء رأسي للمقصلة لو أن الوغد لم يلاحظ وجودنا الآن في غضون دقيقة من هيجان حيواناته.

فكر للحظة ثم تكلم بهدوء مرة أخرى:

- إذا لاحظ وجودنا ، فبالطبع سوف يخمن بسهولة الجانب الذي نحن فيه، وينزلق بحرية في الاتجاه الآخر. نحن بحاجة إلى تطويق منزله بكل الوسائل حتى نربك الحيوانات أيضًا.

تعاليا أيها السيدان، يمكنا تقسيم أنفسنا لرؤية ثلاثة جوانب من البيت. سأبقى حيث أنا. وبمجرد أن يخرج الشرير من عرينه، أطلق عليه النار عشوائيًا.

اعترضت:

- وإذا اتضح أنه ليس الذبابة؟

- ملامح الذبابة معروفة، طويل، أشقر، ذو لحية، لديه أكتاف مستديرة، على خده الأيمن وحمة كبيرة. إذا خرج شخص آخر، فسوف أصيح كي يستسلم، وبعد ذلك سنرى ما يجب القيام به على طول الطريق.

زحفنا. لكن قبل أن يتاح لي الوقت للزحف إلى النقطة التي خططت لها، رأيت رجلًا يتمتع بمظهر بطولي يخرج من باب الكوخ وبيده مسدس. نظر حوله بريبة ونظر إلى الدببة المقيدة بالسلاسل. لاحظ قلقهم ونظر حوله مرة أخرى، وميض بعض الجبن في عينيه. بسرعة البرق هرع إلى الدببة، على الأرجح أراد إطلاق الدببة وفك قيودهم.. في تلك اللحظة بالذات انطلقت رصاصة هولمز. في المقابل أطلقنا أنا و فيريتنيوك أيضًا.

ربما أخطأناه. استدار الذبابة بسرعة واندفع إلى الكوخ. انطلقت طلقة ثانية من هولمز. لم ينجح الذبابة في تسلق خمس سلمات إلى الكوخ قبل أن يفتح ذراعيه وينقلب على ظهره. هرعنا من مكاننا إليه.

ولكن بمجرد أن وصلنا إلى الشرير الجريح، كان قد استجمع آخر ما لديه من قوة، وأمسك بالبندقية المهجورة، استند على كوعه، ووجه البندقية نحوي. لا أعرف ما كان ليحدث إذا لم تهبط

مؤخرة بندقية هولمز على رأس الذبابة.

تأوه الذبابة بخفوت وانهار على الأرض. قال هولمز وهو يميل عليه وستشعر بنبضه بهدوء:

- لقد مات.

بعد ذلك أدار جسده وأشار لنا لاتباعه، ودخلنا إلى الكوخ. كان الكوخ يتكون من غرفتين. أحدهم مقفل هو الذي يخرج منه صوت المرأة. كانت الغرفة الأخرى مفتوحة، وبعد فحص سريع أجريناه أدركنا على الفور أنها غرفة جلوس الذبابة. فجأة سمعنا صرخة يائسة من الغرفة المغلقة.

- اهربوا! اهربوا إذا كنتم أناسًا صالحين!

هرع هولمز إلى السارق المقتول، وأخذ مفتاحًا من جيبه وفتح الباب المغلق به. بمجرد فتحه قامت امرأة شابة، جميلة جدًا، بإلقاء نفسها تحت أقدامنا متوسلة الرحمة. رفعها هولمز من يدها برفق.

أخبرناها أننا نبحث فقط عن اللص وطلبنا منها أ تخبرنا من هي. من قصتها اتضح أنها كانت ابنة فلاح من قرية أولسوفيفكا خطفها الوغد منذ ثمانية أشهر مستغلًا خروجها إلى الغابة، سحبها إلى هذا المكان واغتصبها، ومنذ ذلك الحين احتجزها ليل نهار، وتعيش معه كما تعيش الزوجة مع زوجها. طلبت منا الفتاة بحق المسيح أن ننقذها ونعيدها إلى والدها.

بعد أن عاملناها بلطف ووعدنا بفعل ما تريده، شرعنا في تفتيش الشقة. بعد بحث شامل في الكوخ الأرضي وجدنا برميلًا كان فيه حوالي أربعة أرطال من القطع الذهبية. بالإضافة إلى

ذلك وجدنا في الكوخ مخزونًا كبيرًا من الأسلحة، والإمدادات الغذائية والتي تكفي لمدة عام كامل، ونحو ستمائة روبل من المال. كان ذلك هو اليوم الأخير للمجرم الشهير المعروف بالذبابة والذي روع المواطنين في جميع أنحاء سيبيريا.

ماذا أحكي بعد ذلك؟

بعد قضاء الليلة في عرين المجرم، قمنا بتخزين كميات كافية من المؤن، وبعد أن قمنا بتحميل جثته والفتاة والأشياء الثمينة التي وجدناها على حمار حصلنا عليه من إسطبله الصغير خلف الكوخ، انطلقنا نحن الأربعة. في رحلة العودة.

***

تمت

متجر تشورين : هذا يشير إلى متجر «يا. تشورين وشركاه.» تأسس عام ١٨٦٧ من قبل تاجر في إيركوتسك آي يا. تشورين. تم بناء متجر بلاغوفيشتشينسك في عام ١٨٩٧ وكان يعتبر واحدًا من أفضل المتاجر في سيبيريا

ليسوفيك: نطق أوكراني لـ(ليشي) عفريت الغابة أو روح الغابة في الأساطير السلافية.

الفيرست وحدة قياس مسافات استخدمت في روسيا، تساوي تقريبًا ١.١ كيلو متر.